Islam in World Perspectives Symposium
"Nurturing Young Muslim in The Post-truth Era: Islamic Studies Perspective"
Vol. 1. No. 1. 2020
http://seminar.uad.ac.id/index.php/iwos | ISSN: 2747-0865

The importance of the Arabic language, its existential characteristics, and its importance for muslim youth

أهمية اللغة العربية خصائصها الوجودية وأهميتها للشباب المسلم

Mohamed Ismaili Alaoui

University of Sulthan Maulana Sulaiman Bani Milal, Morocco

ARTICLE INFO

Keywords
Arabic language
Muslim youth

ABSTRACT

Arabic is a human language that is very distinct from other languages, past and present. It has features that are not found in other languages. Languages are, in general, not just pure linguistic words and expressions, but the culture, civilization and language of a people in front of other peoples. It also reflects its values and principles and sets out its orientations and opinions on all humanitarian issues. It is therefore necessary, through language, to open up more to all the peoples of the world. Also, mastering the language of a person makes it easier for a person to communicate directly with them without an intermediary. Arabic is therefore considered to be an essential point of entry for the understanding of many issues and ideas related to them, religiously, culturally and intellectually. The Arabic language is the language in which the Noble Qur'an was revealed. The Qur'an expressed that in many verses, and we will mention it first in the next element.

تعد العربية لغة إنسانية متميزة جدا عن باقي اللغات الأخرى، ماضيا وحاضرا. ويتوفر فيها ولها من الخصائص ما لا يوجد في غيرها من اللغات. إن اللغات عموما ليست مجرد كلمات وتعبيرات لغوية صرف، وإنما هي ثقافة شعب وحضارته ولسانه أمام بقية الشعوب. كما أنها تعكس قيمه ومبادئه وتكشف توجهاته وآراءه إزاء كل القضايا الإنسانية. ومن هنا وجب الانفتاح أكثر على كل شعوب العالم من خلال اللغة. كما أن التمكن من لغة قوم يسهل على الشخص التواصل المباشر معهم من دون واسطة. من هنا تعدّ اللغة العربية مدخلا أساسيا لفهم كثير من القضايا والأفكار المتصلة بها، دينيا وثقافيا وحضاريا وفكريا. إن اللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. وقد عبر عن ذلك القرآن في كثير من الآيات، سنذكرها أولا في العنصر الموالي.

This is an open access article under the CC–BY-SA license.

– الآيات التي قرن فيها الله سبحانه القرآن (أو ما يدل عليه) بالعربية (أو ما يدل عليها):

ورد لفظ القرآن مقترنا بلفظ (العربية في القرآن الكريم في إحدى عشرة آية، هي:

- "إنا أنْزَلناه قُرْآنا عَرَبيًا لعَلَّكُمْ تعْقِلون"[1] .
- "وكَذلكَ أنْزَلْناه حُكْما عَرَبيًا، ولَئِنْ اتَّبَعْتَ أهْواءَهُم بعْدَ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ ما لكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيّ ولا واقٍ"[2].
- وَلَقَدْ نَعْلَمُ إنّهُمْ يقولونَ إنّما يُعَلِّمُه بَشَرٌ، لِسانُ الذي يُلْحِدونَ إليهِ أأعْجَمِيٌّ وهذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبينٌ"[3].
- "وكذَلِكَ أنْزَلْناهُ قُرْآنًا عَرَبيًا وصَرّفْنا فيهِ مِنَ الوَعيدِ لعَلَّهُم يَتَّقون أو يُحْدِثُ لهُمْ ذِكْرَى"[4].
- وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ"[5].
- وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"[6].
- بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[7].
- "ولَوْ جَعَلْناهُ قُرْآنًا أعْجَمِيًّا لقالوا لوْلاَ فُصِّلَتْ آياتُه، أأَعْجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ، قُلْ هُوَ للذينَ آمَنوا هُدًى وشِفاءٌ، والّذينَ لا يُؤْمِنونَ في آذانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِم عَمًى، أُولئِكَ يُنادَوْنَ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ"[8].
- "وكَذَلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرى وَمَنْ حَوْلها، وتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فيهِ، فَرِيقٌ في الجَنّةِ وفَرِيقٌ في السَّعيرِ"[9].
- "إنَّا جَعَلْناهُ قُرْآنا عرَبيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ"[10].
- "وَمِنْ قبْلِهِ كِتابُ مُوسى إمامًا ورَحْمَةً، وهذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِسانًا عرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الّذينَ ظَلَموا وبُشْرى لِلْمُحْسِنين"[11].

– في مفهوم العربية:

---

[1] – سورة يوسف، الآية: 2.

[2] – سورة الرعد، الآية: 37.

[3] – سورة النحل، الآية: 103.

[4] – سورة طه، الآية: 113.

[5] – سورة الشعراء، الآيات: 192 – 195.

[6] – سورة الزمر، الآيتان: 27-28.

[7] – سورة فصلت، الآيات: 1-3.

[8] – سورة فصلت، الآية: 44.

[9] – سورة الشورى، الآية: 7.

[10] – سورة الزخرف، الآية: 3.

[11] – سورة الأحقاف، الآية: 12.

لقد وصف الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بأنه (عربي)، وهذا يدل في معناه على:

أولا: الفصاحة والبيان، لأن (العربية) من الإعراب. ونقول (أعرب الرجل) أي أفصح في كلامه وأوضحه.

ثانيا: لغة قوم تميزوا بالفصاحة والبيان، فنسبوا إليه (أي البيان)، لذلك سمي هؤلاء القوم (بالعرب) لفصاحتهم القوية في الكلام على خلاف الشعوب الأخرى؛

ثالثا: العربية لغة (معربة)، أي يميزها (الإعراب) من (فتحة وضمة وكسرة وسكون) وأيضا فيها لما فيها من المعاني النحوية التي تسهل علينا الكلام وبيان المعاني بدقة متناهية، ومن هذا وجود (الفعلية والفاعلية والمفعولية والإضافة والحرفية والاسمية) وأيضا لاختلاف الكلمة الواحدة في الجمل المتنوعة حسب المعاني التي تريدها. مثلا: لو أخذنا الفعل (كَتَبَ)، فيمكن أن نشتق منه (اسم الفاعل / كاتب)، واسم المفعول (مكتوب)، والمصدر (كتابة)، بالإضافة إلى مشتقات أخرى مثل (كتاب – مكتبة – استكتب – استكتاب –كُتُب ..)

هذه الخاصية لا تكاد توجد إلا في اللغة العربية؛ إنها خاصية الاشتقاق من نفس الجذر (ك. ت .ب). وهذا يجعل جميع الكلمات المشتقة منه تحمل المعنى النووي المركزي وهو (ما يدل على كتابة)، بالإضافة إلى المعنى الخاص الذي تدل عليه كلمة من تلك المشتقات على حدة.

– قوة العربية وخصائصها اللغوية والبيولوجية والوجودية:

إن المتأمل في اللغة العربية يجدها لغة لها ما لا يتوفر في غيرها من اللغات العالمية الأخرى من ميزات تجعلها لغة مستمرة في الوجود الإنساني زمانا ومكانا. ولعل تميزها عن غيرها هو ما دفع عددا من الباحثين الغربيين إلى الاعتراف بجمالياتها وبخصائصها التي تجعل منها لغة إنسانية بامتياز.. لغة لم يعرف التاريخ البشري مثلا لها من قبل ولن يعرف مثلها في ما سيأتي من أيام. يقول المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس: "إنّ في الإسلام سنداً هامّاً للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة، كاللاتينية حيث انزوت تماماً بين جدران المعابقضايا أساسية في فهم اللغة العربية وحُبِّها:

خصائص التي لا توجد إلا في اللغة خاصة محاكاة الواقع البيولوجي للكائن البشري. ليس هذا فحسب، بل إنها تحاكي الواقع البيولوجي لكل الكائنات والمخلوقات في الوجود. إن طريقة توالد الكلمات في العربية تسي وفق معطى وجودي؛ إذ لكل شيء في هذا الكون جذر و(أصل) منه وعنه تتفرع (الفروع).

ورغم أن الأصل ليس هو الفرع من حيث الشكل والجوهر والوظيفة، إلا أن الفرع لا يخرج عن دائرة الأصل، ويحمل – بالضرورة – جيناته الوراثية التي تكشف عن ذاك الأصل. هذا منطق كل المخلوقات في الوجود، منطق يجعل الفرع يخرج عن الأصل ويتفرّع عنه، وفي الآن نفسه لا يستطيع الفكاك من (أسره) فالفرع لابد أن يحمل من الخصائص الوراثية التي تربطه بالأصل وتكشف عن مصدره. ولا وجود لشيء في هذا العالم من المخلوقات يأتي من فراغ أو يتولّد من لا شيء. وهذا المنطق لا نجده ينطبق إلا على اللغة العربية وحدها، مما يجعلها بحق لغة إنسانية بامتياز، إنسانية في حياته وتوالد كلماتها وتتابع أساليبها، وإنسانية في قدرتها على التعبير ومحاكاة الواقع الحقيقي والفعلي للمخلوق البشري.

10.26555/iwos.v1i1.5678

وإذا كانت قادرة على حمل معاني الله لفظا ومعنا – وهي المعاني السامية الربانية التي يعجز كل إنسان على ان يأتي بمثلها – أفلا تكون قادرة على مجاراة الإنسان في تعبيره عن كل شيء؟ وفي توظيفها في علومه وصنوف المعرفة المختلفة؟ بلى والله إنها لأقدر وأجدر أن تتبوأ المكانة السامية التي تليق بها؟ ولنضرب مثال بسيطا في العربية لنبين الحقيقة البيولوجية لهذه اللغة الوجودية بما سبق أن أشرنا إليه أعلاه من قضية الاشتقاق الذي يعني – بالضرورة – وجود (أصل) يشتق منه (فرع / أو فروع) كثيرة. والأصل هنا هو (الجذر)، في حين تعتبر الكلمات المشتقة منه هي الفروع. وقد سبق أن ضربنا مثلا بالجذر (ك.ت.ب.) واشتققنا منها لكمات عديدة. وهذا ما لا نجده في اللغات الأخرى. ويكفي أن ندلّل على ذلك في الفرنسية، مثلا بالكلمات التي تدل على (كتابة)؛ حيث لا نجد كل المفردات تنتمي إلى أصل واحد، وإنْ حملت المعنى العام نفسه؛ فالفعل (كتب) في العربية هو: (Ecrire)، لكن الكلمات الأخرى التي تدل على ما فيه كتابة في الفرنسية نجد: (Bibliothèque)، وهي (مكتبة)، و(Livre) وهو (كتاب)، و(Bureau) وهو (مكتب) الذي نكتب عليه.

– خصائص وجودية أخرى

أشرنا إلى مسألة الاشتقاق في العربية وبينا كيف أنها قضية وجودية وبيولوجية. وهناك قضايا أخرى هي أيضا قضايا متصلة بالوجود وبالكون وبالحياة عامة، منها قضية (الإفراد والتثنية والجمع):

إن (المفرد) و(المثنى) و(الجمع) ليست مجرد قواعد في النحو العربية أو نحو اللغات الأخرى، وإنما هي قواعد في الوجود والكون كله. لكن تبقى العربية هي اللغة الوحيدة التي تستجيب لهذا المبدأ المتكامل، لأنها اللغة الوحيدة، تقريبا، التي تتضمن (المثنى). وحتى نوضح الفكرة، فإننا نبسطها على هذا النحو:

– مبدأ الفردية: إذ لكل شيء كيانه الخاص الذي يتفرّد به عن غيره، فلابدّ له من ضمير يميز فرديته هاته عن المكونين الآخرين. ولذلك ما من شيء مفرد له ذات خاصة إلا ونعطيه اسما يعرف به؛

–مبدأ الثنائية: قال الله تعالى: (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذّكرون[12](، ويستحيل إيجاد مجتمع (أو جماعة) من دونها؛ إذ لابد للفرد (إنسانا كان أو نباتا أو حيوانا) من فرد آخر يكمّله ويتمّم وظيفته ليتحقق الإعمار في الأرض ويحفظ النوع ويستمرّ النسل. وما دام الأمر على هذا النحو الذي لا يستطيع أن ينكره حتى الجاحدون، فإن اللغة العربية سارت وفق هذا المبدأ الإنساني والوجودي فاتخذت المثنى طرفا وسطا (بين الإفراد والجمع) في التعبير.

إن التثنية في الوجود كله هي القنطرة والرابط الذي يربط بين (الإفراد) و(الجمع)، ويستحيل ذلك من دون ثنائية. ولذلك من قوانين الوجود الإنساني أنّ الفرد يستحيل أن يعيش في الحياة بمفرده مؤديا كل الأدوار فيها متحملا كل أتعابها ومشاقها، ثم معمّرا وخليفة فيها كما أمر الله. كما أنّ الجماعة لا تتحقق إلا بالتناسل وبالتوالد وبالتزاوج، وبها يتحقق الإعمار والاستخلاف في الأرض. وهذا لا يتم إلا بالتثنية. إن المثنى قبل أن يكون قاعدة نحوية في العربية هو

[12] – سورة الذاريات، الآية: 49.

قاعدة وجودية في الموجودات كلها. وكل الكائنات التي تتوالد وتتطور وتستمر في الوجود لابدّ لها من (التزاوج). والتزاوج معناه وجود شيئين اثنين (مذكر ومؤنث) (سالب وموجب).

– مبدأ الجماعية: رغم أن لكل شيء صورة وجوهرا وشكلا يميزه عن غيره من الموجودات من بني جنسه، فإنه يستحيل عليه أن يعيش منفردا ووحيدا. لقد اقتضت فطرة الله في الأرض أن تعيش مخلوقاته في جماعات (ليتخذ بعضكم بعضا سخريا) ويحتاج بعضنا إلى بعض، وتعمّر الأرض، وتكون هناك حياة عليها.

نعود الآن إلى علاقة كل هذا باللغة العربية ثم بباقي اللغات الأخرى لنقول إن اللغة العربية هي الوحيدة التي تستحق أن تعتبر اللغة الإنسانية بامتياز لأنها تساير أمر الله ومشيئة الله ورغبة الله في خلقه. لذلك نجد فيها ضمائر المفرد لتطابق مبدأ الفردانية، وضمائر المثنى لتطابق مبدأ الثنائية، وضمائر الجمع لتطابق مبدأ الجماعة.

– العربية وربط الماضي بالحاضر

ما يميز العربية عن باقي اللغات الأخرى كذلك انها لغة متصلة خطا وكتابة. كما أنها متصلة تاريخا وحضارة وثقافة. ووجه الاتصال فيها يأتي من كونها لغة مستمرة بنفس الأصوات، وبنفس القواعد النحوية، وبنفس طريقة الكتابة. هذه الخاصية تمكننا من قراءة ما خلفه العرب منذ العصر الجاهلي من أشعار دون أدنى مشكل، لأن العربية في أصواتها وكلماتها ونحوها وصرفها وإعرابها هي هي لم تتغير. وبين أدينا الآن كتب كثيرة جدا لا يمكن حصرها منذ عهود ماضية وقديمة جدا في تاريخ العربية ونستطيع أن نقرأها ونستفيد منها دون أي مشكل على الإطلاق. وهذه الخاصية غير موجودة في اللغات الأخرى مطلقا؛ إذ بعد حوالي خمسة أو ستة قرون تتغير اللغات كليا نطقا وكتابة، وهو ما يجعل قراءة ما كتب بها في قرون ماضية أمرا مستحيلا جدا. أما العربية فمن أوجه قوتها وبقائها واستمرارها أنها لغة لم تتغير في أصواتها ولا في كلماتها ولا في طريقة نطقها أو كتابتها.

تمكننا هذه الخاصية أيضا من الاستفادة من التراث الهائل جدا مما كتب فيها؛ خلافا للغات الأخرى التي يضيع عليها تراث كبير جدا، وتكون مضطرة إلى إعادة كتابة تراثها ومؤلفاتها بالكتابة الجديدة وباللغة الجديدة التي أضحت مستعملة.

– لماذا تعتبر العربية مهمة جدا للشباب المسلم؟

يمكن أن نرجع أهمية العربية للشباب المسلم ولكل المهتمين بها إلى عدة أمور، نذكرها في ما يلي:

أولا: ارتباطها بالقرآن الكريم أولا، وبالدين الإسلامي ثانيا، فهما وجهان لعملة واحدة. إن الشاب المسلم مطالب بقراءة القرآن، وبفهمه الفهم الصحيح، ولا يكون ذلك إلا بفهم العربية على وجها الصحيح كذلك. إن الشباب المسلم الذي يكتفي بما يسمع من غيره عن الإسلام قد يرتكب أخطأ كثيرة لأنه لم يرجع بنفسه إلى الأصل الأول وهو القرآن الكريم. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقرأه ونفهمه ونتدبره، من هنا وجب تعلم العربية وفهم منطقها وطريقة التعبير عن المعاني فيها، وكي يختلف المعنى من جمل إلى أخرى، وهكذا..

10.26555/iwos.v1i1.5678

وإذا كان بمقدوره الشباب المسلم التعامل المباشر مع القرآن وفهمه فإن ذلك سيجنبه الكثير من المزالق والأخطاء، أولها سيتجنب الوقوع في التطرف والاعتقاد الخاطئ والفهم الأعوج للآيات والأحكام الشرعية. إن القرآن الكريم كتاب هداية للناس جميعا، ومن الاعتقاد الخاطئ القول إن الفئة الوحيدة التي بإمكانها قراءته وفهمه هي فئة العلماء. هذا غير صحيح. إن القرآن الكريم كتاب في متناول الجميع، وكل واحد يفهم منه على قدر علمه وعلى قدر تمكنه من العربية ومن علومها. صحيح إن العلماء يفهمون بشكل أعمق، ويمكنهم أن يستخرجوا الأحكام، وهو ما لا يستطيعه عامة الناس، ولكن هذا لا يعني مطلقا عدم تدبره ومحاولة فهمه من كل من يقرؤه. إن القرآن كتاب هداية وبركة وفتح مبين، قبل أن يكون كتاب أحكام وشرائع دينية.

ثانيا: تعزيز الهوية الإسلامية. نستهل هذه الفكرة بما نُقِل عن الصحابي الجليل عمر بن الخطاب، رضي الله عنه وأرضاه. قال: تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة. هذا قول عجيب جدا من صحابي جليل. لقد ربط بين تعلم العربية وبين زيادة العقل (الذكاء) وزيادة (المروءة) ومعناها الشهامة والشجاعة. ومن امتلك الشهامة والشجاعة كان أقدر على فهم القرآن مباشرة، وكان أقدر على فهم الوجود، وفهم الإسلام فهما صحيحا.

يزيد تعلم العربية، إذًا، من تعزيز الهوية الدينية الإسلامية في نفوس الشباب، لأنه يربط بشكل أقوى وأعمق بالقرآن الكريم وبسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. كما أن تعلم العربية يمكننا من قراءة كتب الفقه والشريعة، والاطلاع على ما ألف العلماء المسلمون في مختلف المجالات. العربية، إذًا، ليست لقراءة القرآن في المساجد والصلاة به فقط، وإنما هي لغة حياة وحضارة وثقافة عريقة جدا. وكلما تعلمنا العربية كلما زاد ذلك من قوة شعورنا بالانتماء الحضاري إلى هذه الأمة العريقة. فضلا عن هذا، يمكننا تعلم العربية من التواصل مع كل المسلمين في العالم، لاسيما العرب منهم.

ثالثا: السفر في الزمان الثقافي والحضاري للأمة الإسلامية جمعاء. وهذا ممكن من خلال قراءة كتب من سبقونا؛ إذ يكفي أن نعود إلى مؤلفاتهم حتى يمكون بمقدورنا تخيل ما كانت عليه حياتهم في كل المجالات.. وما كنا لنعرف ما حدث في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي والعصر الأموي والعصر العباسي وباق بالعصور لولا أن هذه العربية لغة متصلة، ولولا ما تركه لنا الشعراء والأدباء والعلماء من علوم. لهذه، فكلما قرأنا كتابا من زمن غابر فنحن نتمكن — خلاله — من السفر إلى ذلك العصر وإل ذلك الزمن. كما يمكننا تعلم العربية من الحديث إلى ملايين العرب، وهذ من شأنه أن يربط أوصار المحبة الدينية والإسلامية.

– العربية ليست لغة دينية فقط:

كانت اللغة العربية لغة قوم لعصور طويلة قبل أن ينزل بها القرآن، وكانت لغة حضارة قوية تعبر عن مجالات عدة: الأدب والشعر والخطابة والسياسة، ثم في مرحلة أخرى كانت لغة العلوم المختلفة كالفلك والطب والفيزياء والرياضيات. ويكفي أن نذكر بكثير من العلماء المسلمين ممن تركوا مؤلفات كثيرة في هذه العلوم، كابن سينا والفارابي والخوارزمي وابن الهيثم وابن خلدون وغيرهم كثير..

لقد سبق أن نبهنا إلى أن العربية ليس لغة القرآن الكريم حتى لا ينشأ عن ذلك فهم خاطئ من كونها لغة محصورة في الدين وفي العبادة فقط. وإنما هي لغة قوم (العرب) نزل بها القرآن. وهذا تشريف لهذه اللغة. وكل من أراد أن يحوز على هذا التشريف فلابد له أن يتعلم هذه اللغة.

خاتمة:

يتضح جليا – من خلال كل هذه الأفكار والخصائص التي لا يتوفر بعض منها إلا في اللغة العربية – أن هذه اللغة غير عادية، وهي لغة مستمرة في الزمان وفي المكان من عدة أوجه، منها: أن حياتها تشبه حياة الكائنات الحية، وطريقة التوالد والاشتقاق فيها تشبه تماما طريقة التوالد والتطور في الكائنات الحية كلها. وهذا ما يضمن لها الاستمرارية في الوجود. ثانيا: شرفها الله بحمل القرآن الكريم لفظا ومعنى، وهذا زاد من حب الناس لها ومن تعلقهم بها، خاصة أنها أصل من أصول الدين، فلا تصح بعض العبادات إلا بها، كالصلاة. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما قرر فقهاء أصول الفقه الإسلامي. ثالثا: هي لغة ثقافة وحضارة عريقة تتميز بالاتصال وليس بالانفصال، وهذه خاصية تميز العربية عن غيرها من اللغات الأخرى. لقد وفرت هذه الخاصية تراثا زاخرا وضخما من كافة المجالات والعلوم (الأدب والفلك والرياضيات والطب والجغرافيا وعلم الاجتماع)، فضلا عن علوم الشريعة وعلوم العربية المتنوعة.

10.26555/iwos.v1i1.5678